أحمد سويلم

شظايا

شعر

الطبعــة الأولى

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

كتبت هذه القصائد ما بين

يوليو ١٩٨٩ - ويوليو ١٩٩٢ ..

إلى جيل الستينيات : معًا . . بلا توقف !

أحمد

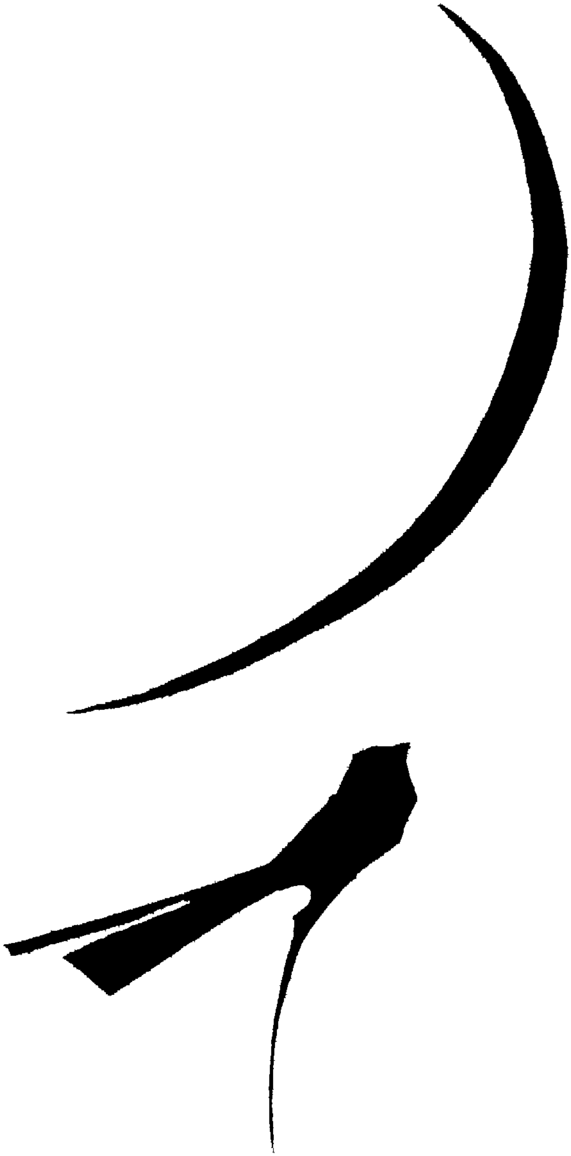
إليـــك

ـ أيها القارئ المتململُ
فرِّجْ خطوط جبينك
دعْ خلف ظهرك ما تشتهيه الرياح
ومدِّد كما شئتَ ساقيكَ
مُدَّ شرايينك الألف
إن دماءَ القصائدِ تنثالُ من جبهةِ الشعرِ
ـ لا تطلبُ البحر . ! ـ
ـ يا أيها القارئ المتربِّص
خفِّفْ من الغضبِ المتوارَثِ
لا تطأ الأرضَ مستنفَرًا

إنه الشعر . .

مَدَّ إليكَ يديه . .

فمُدَّ إليه يدك !



وخز الهوى

سواكَ . . لا طيرٌ . . ولا غزالْ
سواكَ . . لا شوقٌ . . ولا مُحالْ
كلُ التراتيل التى خلتُها . .
تُشعلنى . .
لا تملكُ الإشتعالْ . .
وأنتَ مشكاتى التى أصْطفي
تُضيئنى وحدى بسحر الجمال
لا تخشَ إقبالى ووخزَ الهوى
فالعشقُ يا مولاى . . صعبُ المنالْ
وحُجتى . .
ألآ يصحُّ الهوي
بغير أن ترضى ... وألا تُطالْ !

اللهيب

عن الشعر تسألنى :
ـ من تُراها التى ألهمتني
أطرِّز فيها القصائد
أجعلها نجمةَ العشْقِ والشوق
ـ أواحدةٌ أم نساء . .
أمصرية أم وراء الحدود
أسمراءُ . . أم . . !
عن الشعر تسألنى . .
وهى تعرفُ أنى مع الشِّعر أرْضَى احتراقي
هو السِّيدُ المتفضّلُ . .
سوطٌ بقبضتهِ .

ونعيم بساحتِهِ
وأنا دائماً رهنُ نظرته
وهو يمنحنى ما يراه من الجمرْ
حبّا . . وهمّا
ومملكةً . . وجحيما
ـ فلا تسألى الآن
لكنْ هَبِى كلّ شيءٍ جميل
ومرّى على أعينى الآن
ناضِرَةً كالقصيدة . .
قد يقبلُ السيدُ المتفضل أن يصطفيك لقلبى
ويغلقَ بابى عليك
فتحترقين معى فى اللهيب !

حـــيرة

تطالبنى عبسُ أن أشحذَ السيف !
ـ أعطيُت عبسًا مواثيق قلبى ـ
فألقتْ على القلبِ ذُبيانُ نار الفجيعةِ
سدَّدَتِ السَّهمَ خلفى . .
ـ بحثتُ لدى عبسٍ عن وجعى . . ودوائي
قيل لى : لستَ منا . !
تضرّجْتُ فى غُربةِ السيف . .
علّقتُ قلبى على طْرفهِ . .
فتقاطر فوق الهواءِ الذي
بين عبسٍ . . وذُبيان . !

. . . .

لم يعرفوا القلب . .

فهل تعرفون . .

إلى أى فاجعة . . أنتمى ؟!

الشعراء

لم أكن آخرَ الشعراء
واللغاتُ التى انسكبتْ فوق هذى القراطيس
مرةٌ فى المذاقْ !
كلُ شيء تأجّج من صبوةِ الشعر
لا يقبلُ الإحتراقْ . .
غير أنى أرى الشعراء فريقين :
ـ واحدًا فى السِّباقْ
(كلّ يوم يغيّرُ جلدًا
ويحرقُ فى الليل كلّ البخور
يفُكُ وثاقًا . . يشُدُ وثاقْ)
ـ وفريقًا أسنتّهُ الكلمات

يتطهَّرُ بالعشقِ
يشحذُ عينيْه بالشوقِ
يخترقُ الليلَ فوق بُراقْ
. . . .
فانظروا الآن يا شعراءَ الزمان
لأى الفريقين مِلْتُم . .
وماذا جنيتُم . .
واللغات التى انسكبت
فوق هذى القراطيس
تبدأ الإحتراق . !



المهـــرج

جاء يبحثُ عن دورِهِ
فاستحال صدى . .
واستراح على وهمِهِ . . أغْيَدَا
وارتدي
جُبّةً من نسيجِ الندي
فبدا . . هُدْهُدا
وغَدَا . .
يوهم السُّفهاءَ بأن الذى فى يديْه
كتابَ الهدى . .
أنه جاء يصنعُ للشعرِ
جلدًا جديدًا . .

ووجهًا على متْنِهِ . . أوْحدا

(والذى قبْل مقْدَمِه . .

كان ثرثرةً . . وقذى . .

وصديً أسودا)

. . . .

جاء يعطى مُسَيْلمةَ العهدَ . . والمُحتدا

فبماذا تُراه يتيهُ . . غدا

حين يدعُو الطيورَ التى انفرطت

فوق تلك الربا . .

أن تعود إليه . .

فتأبى الندا . .

ويضيُع الصدى !

اختيار

ـ ليس عجيبًا أن نفقدَ سرّ المُطلقْ
أو تغرُبَ شمسٌ فى غيْم المشْرِقْ
أو ندعو الشعراءَ إلى أمسيةٍ
لا نسمعُ فيها إلا الشعرَ الأخرقْ . .
ـ ليس عجيبًا
أن نشنُقَ فوق حبالِ اللغةِ ملايين الحكماء
ونقسمُ أن الماضى . . أحمق . .
فزمانٌ تتنازعُه الأقلامُ الباردةُ
زمانٌ . . منسوجٌ بخيوط واهيةٍ
وزجاجِ عيونٍ تبرُقْ . .
ـ ليس عجيبًا
أن ننظرَ هذى الأرضَ تضيقُ علينا

ونرى العالَمَ من ثَقْبٍ ضيقْ . .
فابحثْ عن رأسك
وانزِعْه . . من تحت نعال الأقدام
أفرِغْ ما يتألّقُ فيه
فى أنهارٍ عذراء . .
أو . . فاستسْلم
وادفِن نفسَك فى مقبرةِ الضعفاء !

آهــة

آه . .
لو كنتُ دخانًا فى الفلكْ
أو غُصونًا غضةً لم تشتبكْ
آه . . لو كنتُ حمامًا يشتهي
خمرةَ البوحِ بأطراف الحَلَكْ
آه . .
لو كنتُ وشاحًا يحتوي
جِيدَها
يا جيدَها . .
ما أجملَكْ . !

قــدر

ـ سأدوِّى باسمكِ
حتى تتوهجَ أزهارُ الصيف
حتى تتجسَّدَ بين يدى ألوانُ الطيف
ـ سأغنى باسمكِ
وأشُدُّ الأوتار على عُنقي
تنبتُ أطواقًا من سغف . .
. . . .
ـ أحببتُكِ :
لا أعرفُ فى حبكِ معنى الخوف . .
فانهمرى ما شئتِ بأوراقي
سرًا . . أو جهرًا . .

بعضَ رماد . . أو جمرا
قصفًا ببقايا وجعى . . أو عصْف
- إنى قدرٌ . . موثوقٌ فى عينيك
وعيناك . .
قوْسان من الصبوةِ والعنف . !

هى

زهرةُ عشق بريَّة
أرشقُها فى زاوية القلب
وأخبئها فى رئتى السريَّة
أطلقُ منها شمسى القدسيَّة
ـ هى . .
قسمةُ رب الحسناواتِ إلى قلبِي
جنةُ رب العشاق
إلى من ذابَ فناءً فى الربِ
فاكهةٌ . . تتدلى قوسيْن
وتشبعنى بالحبِ

ـ هي . .

سفري . .

عودةُ خطوى الشارد

أشعاري

أشرعتي

حَبْلُ الشوقِ الموصولِ

إلى ما بعد البعد . .

. . . .

ـ ماذا بعد تبقى لم ينطقْ باسمك

ماذا بعد . .

وماذا بعد البعد . . !



الثمرة

بين المطْهر والفردوسِ
انزلقت ثمرة . .
أسرعتُ ألاحقُها
هرَبت منى . .
قادتنى خارج بواباتِ الصمت
انطلقتْ فى عينيَّ امرأةً
تنمو . . تتكور . .
تثمر . . تتفرع
تسَّاقط وردًا . .
تدعونى أن ألقاها ـ وحدى ـ

أن أعْصِر كرمَتَها . . وحدى

أن أطفئَ جَذوتَها . . وحدى

ـ أدركتُ بأن الثمرةَ . . ناضجةٌ

حين هممتُ بها . .

كان جحيمُ العشق يطهِّرُنا

لم أسألْ ـ لحظتَها ـ

لِمَ تغلقُ دونى الفردوسُ . . الأبواب . !

هجــرة

هاجرتُ إليكِ وهاجرتِ إليّ
وتعانقَتِ الخطوةُ والخطوةُ
لا نعرفُ أيَّ الخطواتِ إليكِ
وأيَّ الخطواتِ إليّ . .
ـ حاصرَنا الشجرُ . . النهرُ . . البحرُ
الليلْ . .
فأجبنا حينًا بالصمتِ
وحينًا بلسانِ نبيّ . .
ـ الآن انعدمت كلُ مسافاتِ الأشواق
انسكبت سنبلةُ القلبِ على الأوراق

تفجَّر ملكوتُ العشقِ بهذا السِّر المطويّ
ينطلقُ فراشةَ حُلم
وحمامةَ دفءٍ
بين يديك . . وبين يديّ
ـ لا شيء هنا أكبرُ من حجم الحب بقلبيْنا
فالعالم موثوقٌ فينا بالحبل السُّريّ !

امــرأة

امرأةٌ فى ثوبِ النَّمِر
وأُخْرى فى ثوبِ الذئبِ
وثالثةٌ أفعى . .
وأنا راعٍ فى بيداءِ العشق
تهشُّ عصاى . .
ولا أملكُ أن أجعلها تسْعي
ـ شتَّتنى النمرُ
وبدَّدنى الذئبُ
وعضّتنى الأفعى . .
لكنَّ الحبَ امتلك البيداءَ

ففرّت عنى النسوةُ

والليلُ انقشَعا . .

ـ أتوحّدُ فى اللاّ لون

اللاّ صوت

اللاّ حلم

وأنقش فى الصخر اللفظَ المتوهجَ

واللفظَ المسْنونَ . . معَا

فاذا راعِى البيداءِ نبيًّا

بين يديه :

يعترف النمرُ

ويبكي الذئبُ
وتخلُع مئزرَها الأفعي
ـ باسمك ناديتُ الآنْ
فتعاليْ يا امرأةٌ
يصنعُها الربُ على عينيْه
تحملُ ما لا تحملُه النسوةُ
وأنا بين يديها . . أسعى !

العشق

أنتِ حين انقسمتِ على حافة الصمتِ
فجرتُ عينيكِ سنبلتين . .
وساقيْكِ صَفصافتين
ولونَ احتراقك شمسا . .
وأنا . .
حين أَضرَمَتِ النار فى داخلي
كنتِ خمرَ احتوائى
وشِعري
وأسطورةَ السفر المستحيل
فكيف إذا جئتُ أسألُكِ البوحَ

أنكرتِ حُلم اشتهائى
وخمري
وشعرى . ؟
أفى العشقِ يا قَدَري
عاشقٌ مستبدٌ
وآخرُ مستعبَدٌ بالعطاء . !؟

كبرياء

أخلصتُكَ العشقَ حتى كدتُ أنخطفُ
وذبتُ وجدًا ودوّى فى الحشا لهفُ . .
وقلتُ سوف تغنّى عند نافذتي
وسوف تزهو بذكر الملتقى صحفُ . .
ودّعتُ كلّ غزالاتى . . بلا أسفٍ
وقلتُ حسبيَ يُطفى غُلّتى الشغفُ . .
عسى تجيءُ كغيثِ الحُلمِ محتدمًا
دفئًا وشوقًا . . فلا ذكرى ولا أسفُ . .
لكنكَ اخترتَ دربًا غيرَ خارطتي
والدربُ لم يكُ عن لقياكَ ينعطفُ . .

ما بال قلبكَ أهوى كل سارية
كانت بكل طريقٍ للهوى تقفُ . .
ما بال قلبكَ أشقى الحبَ منصرفًا
عن وجههِ . . وأنا ما كنتُ أنصرفُ
إن كنتَ تحسَبُ أحلامَ الهوى انفرطتْ
فالحلمُ فى القلبِ موثوقٌ به النُّطفُ . .
فارحل كما شئتَ عني
إننى ألفٌ
لم تنكسر . .
أو يُبدِّدْ عودَها تلفُ . . . !

الجرذان

وانتظر القومُ الطوفان
ملُّوا وقْفتَهم فوق الرمل
ملئُوا غُرفَ الأفواه . . رياحًا . . ورذاذا
حلَموُا بالفُلْكِ القادم يحملُ من كلٍّ زوجين :
الإنسانُ . . الجُرذانُ . . القردُ . . القطُ
الكلبُ . . الثعلبُ . . والثعبان . .
ـ حين انتبهوا من غفوتهم
كان الثعبان يَعَضُّ الثعلب
والثعلب كان يعض الكلب
وكان الكلبُ يعض القطَ
وكان القطُ يعض القردَ . .

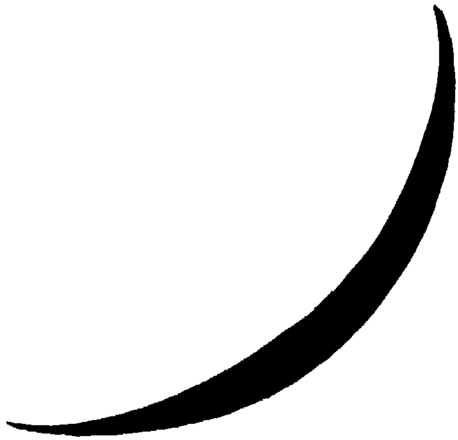
وكان القردُ يطاردُ فوق الرملِ الجرذانْ
والجرذانْ
تهمُّ بنا مثلَ الطوفانْ . !

الزوايا

أربعةً كنا على زوايا مستطيل
وحينها تقابلت خيوطُنا
أمسكها خامسُنا فى الوسط المستحيل
ـ هاجَمنا اللصوصُ فى أحلامنا
زاحَمنا الليلُ
فأطبقنا الزوايا القائمة
صرنا مثلثين منطبقين
من يومها ونحن فى صراعٍ
من يفوز بالزوايا
لأن كل زاوية
تكفى لواحدٍ . . لا اثنين !

الصدأ

ـ أعفى قدميْهِ
من المشْى على جَمْر الشارع
ومشى فوق جماجم موتاه . .
ـ أعفى عينيْهِ
من التحديق خلالَ قلوب الناس
وتقافزَ مزهوًا بين خُطاه . .
ـ أعفى شفتيْهِ
من الكلمات ـ الوهجِ ـ
الكلمات ـ الصدقْ ـ
حتى انطفأت بين ثناياه





ـ أعفى أذنيه
من الموسيقى ـ الحلم ـ
فاسترخت شعراتُ الحسرة
خلف قفاه . .
. . . .
. . . .
ـ كيف إذن يجلُو صدأ القلب
ويغنى ثانيةً
شيئًا يهواه . ! ؟

السؤال

حين ينتزعُ القلبُ ضحكتَه

من صخور الألم

حين تبردُ فى العينِ دمعتُها بالفرحْ

أتساءل :

ـ ما الذى يقلبُ الضِحْكَ همًا

ويرسُم فوق الملامِح قيدَ الألم

. . . .

القبورُ تنوح

القصور . . تنوح

الصبايا . . الصغار

الكبار . .

البحار . . تنوح

فمن أين يأتى الفرح !؟

العرش

قال قولتَه . . وانطفا
بعد أن كان فى عرشِه المصطفي
فى عذوبته . . مرهفًا
فى اللقاء . . هفا . .
فى الوداع . . الصدى والوفا
. . . .
جاء موعدُه . .
فتساقط من عرشه . . زُخرفا
لم تطُلْه العناقيدُ
حتى المواعيدُ

تُعلن فى وجهه . . موقفا
ـ ليته زيَّن العرش نخلاً من الخِصب
مشكاةَ ضوءٍ من الحبْ . .
ـ ليته أوسع القلب
حتى إذا قال قولتَه
ما انطفا . !

صديقى

أصحيحٌ أن الشعر يقطّعُ صاحبَه
أبياتًا أبياتًا
وعلى جمرٍ محمومٍ يشويه
ويُطعمه الأفواه . . فتاتا
أصحيح أنا نستعذبُ أن تَحْرِقَنا نارُ الشعر
ونبقى فيها أمواتًا . .
قال صديقى : هذا موتٌ كالعشق
يُنضجُ جلدَ القلبِ إذا احترق
أو انتشر شتاتا . .
قلتُ : كأنى أدعو طيرًا

تتفرقُ أضلعُها فوقَ تلالِ الصمت

فتأتينى أصواتًا . .

أو أنى أقبض فوق خيوطِ الضوء

فتنمو أعوادًا . . ونباتا . .

ـ ظل صديقى يتحاورُ . . يتحاورُ . .

حتى شَرِقَ بنار الشعر

فتلوتُ عليه أبياتا

ورششتُ عليه

ماءً من قلبي

فاستقبلَهُ فى ملكوتِ الحلم ملائكةُ الرحمةِ

قالوا :

ـ ذاك شهيدُ الشعر . . فلا ذنبَ له

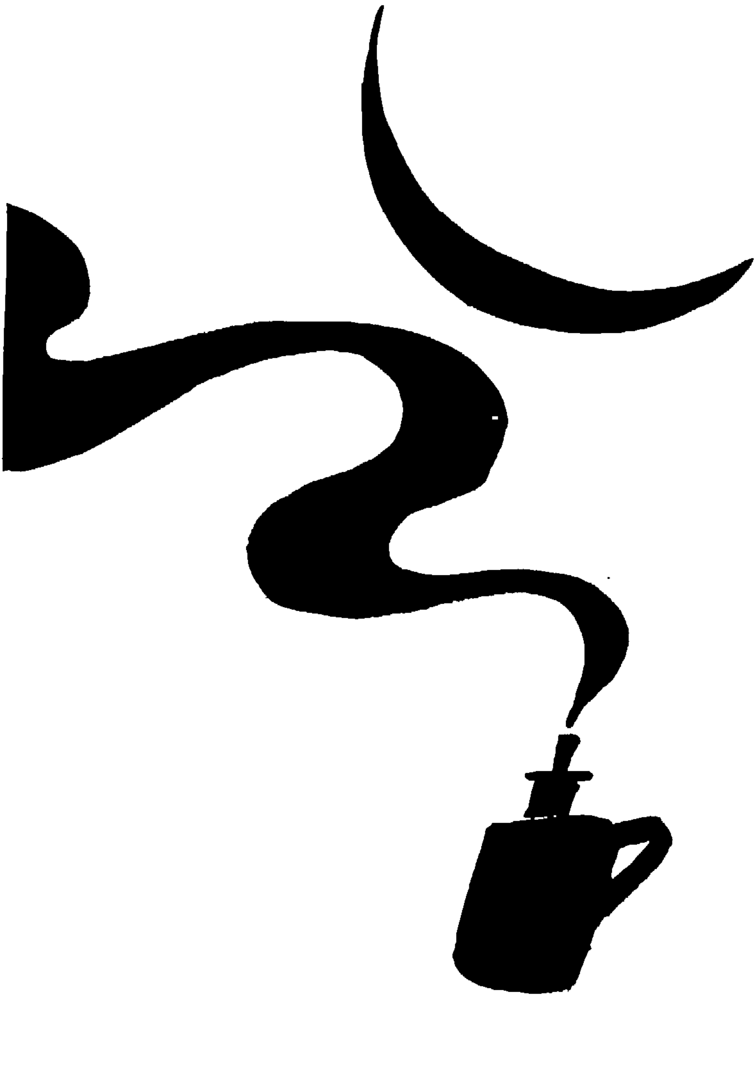
يدخلُ تلك النارَ لينضُجَ قلبُه

ويعودَ يفجرُ نبعَ الصمت . .

فراتا . !

الظــل

ظل العاشقُ يبحثُ عن معشوقته
في وهج الصحراء
حتى التقيا . .
فاشتعلا . .
واصطليا . . .
ـ في ربوة ظل حانيةٍ
خَمَدَ العشق . .
ـ لما خشيا أن يصبح عشقُ المعشوقين
رمادا . . .
جَمَعا ـ ثانية ـ حباتِ الجمرْ



. . . .

ـ كان اللَيلُ يطاردُ شمسَ الصحراء

وريح الصحراء . .

فانتبها . .

واحترقا فى الصمتِ

وماتا . . !

الصهيل

تصهلُ الخيلُ . .
ماذا يفسّر هذا الصهيلُ
وماذا يقول . .
وألف سؤالٍ ـ على ألف سيف ـ
قتيلْ . .
وجوعٌ . . ثقيلْ
وسنبلةٌ قَزْمَةٌ . . فى الحقول
وقلبٌ . . عليلٌ . . عليلْ . .
وفى ساحةِ الجمرِ
طفلٌ تعفّن فى دمه . . كالطُّلُول

تعانق فى شفتيه الذبولْ . .

. . . .

فماذا يقول الصهيلْ

وكيف يفسّر هذا البلاءَ الطويْل . !

الغـــابـة

ـ دخلتُ يومًا غابةَ الأسرارْ
حطّ فوق كِتْفِيَ . . الهَزَار
قدّم لى كأسًا من البَهَارْ
أسكرنى . .
حتى رأيتُ طائرى الجميل
فى هيئة الحمار . .
والنهرَ فى المدى يلوذُ بالفِرارْ
ـ ساءَلنى الهزارُ عن عشيرتى
قلتُ له :
لعلّنى من عُصبة الشُطّار

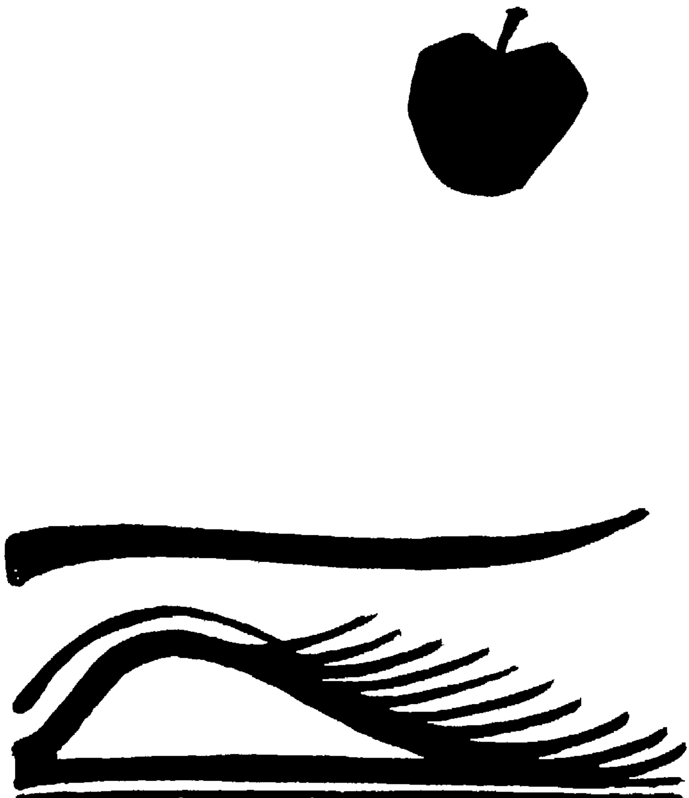
أو من رجال السِّحرِ
أو طيورِ الشعرِ
أو شيوخِ الفقهِ . .
أو جماعةِ الأحبارْ . .
صاح الهزار :
سيدي
(غابتُنا لا تعرفُ المراوغة)
عليك أن تختارْ
أو . . دعْ لنا . .
نحرقُ جلدَك القديم
فتستحيلَ مثلنا
سرًا من الأسرار . !

تأويلُ الأحلام

قال :

لا ترهقْ نفْسَكَ فى تأويلِ الحُلم
فمن نام على جمر الشوق . . رآني
من نام على خمر العشق . . رآني
من يتكحلْ بالروْع . . رآنى . .
من جدّد فى عينيْه الدمعَ . . رآني
. . . . . .
لا ترهقْ نفسَك فى تأويلِ الحُلم
فمن يَرَنى . . يصعدْ مركبةَ الشمس
من يرنى . . يَجْنِ الثمراتِ بلا بخس

من يرنى . .
أسكنْ عينيْه . . وأغفرْ ذنْبَه
من يرنى . .
أصبحْ يده . . قلبَه
. . . . . .
قلت : فمن يعصمُنى يا مولاي
لو لم أحلُم . !



مـزمـار

ـ يا صديقَ المطر . .

كيف لم تنتظرْ . .

إننى لم أكنْ فى الصَّدى أستتر

ـ يا صديقَ المطر . .

إننى أستعر

مرَّ يومٌ . . ويومٌ . . وحُلمى صور

والغدُ المستحيلُ انحنى . . وانكسر

ـ يا صديق المطر . .

إننى أعتصر

فلماذا اختناقُ المدى . . والقمر

ولماذا يطولُ السَّفر
ـ يا صديقَ المطر
كيف لم تنتظر ؟
كيف لم تنتظر . ؟

قَبــول

حبُكَ قد بدّدني
فى عالمِ المستحيلْ
كيف أنالُ الرضا
وليس لى من سبيلْ
وقد فقدتُ الخُطي
إلا القليلَ القليلْ
متى أباهى الوري
بلحظةِ منْ قَبولْ !

أحــوال

عاصفٌ كالريح حينًا
جارفٌ كالسيل حينًا
في دروب العابرِين . .
خامدٌ مثل رماد الجمر حينًا
مطفأ كالحزنِ في ظل العيونْ
. . . .
تلك حالُ العشْقِ في القلبِ
وحالُ العاشقينْ . !

مسافر إلى الأبد

(إلى فتحي سعيد)

ضاقَ هذا المدى بالسَّفر
وأراكَ على البُعد لا تنتظرْ
إنها جمرةُ الشعرِ
ـ تعرفُ أيَّ اللغاتِ تحاورُها
أى شوق نراوغُه
بالأسى المدَّخَرْ ـ
إنها جمرةُ الشعر
لا نستطيع الفكاك . .
ولا نستطيع الحذرْ . .



نتوهم نسيانها

ـ وهى غائرة فى النُّهى والبصْر

أجّجَتْنا . . فكنا القصائدَ

كنا الفرائدَ

لكنَّ هذا المدى . . ضاق

والحلمَ . . ضاق

ولا شيء يُسعفنا بالظفرْ

. . . .

ـ سافِرِ الآنَ . . هذا القدرْ

دائماً ـ قبلَ موعدِه ـ يحصدُ الشعرَ والشعراءَ

ولا يعتذرْ

لنصيرَ إلى كل قلبٍ

إلى كل عينٍ

حروفًا من الصمتِ

آفةَ عصرٍ شقيٍّ

سنابلَ ذابلةً

وبقايا خبزْ . .

ـ سافر الآن . . لا تنتظرْ

ضاق هذا المدى بالسفرْ . !

مئـــذنة

تابعها الطفل بعينيه

حتى انحدرتْ عيناه خلفَ قفاه

أفلتت الريحُ تؤرجحُها

استلقى فوق الأرض

اتسعت عيناه . .

هرَبت قافيةُ الألفِ الممدودة من إبطيه

تسلَّقَتِ المئذنةَ ـ تحوّم باسم الله ـ

تَشَبَّثَ بالقافية . . الطفل . .

اشتعل حنينًا . . حتى بلغ ثريَّاه

احتضن هلالَ الشوق . . توحَّدَ

أصْغي

لا يبقى من عالمه المفتون . . سواه

الطفل تضوّءَ نجمًا بين هلالِ الشوق

يدعو من يمشي فوق الأرض

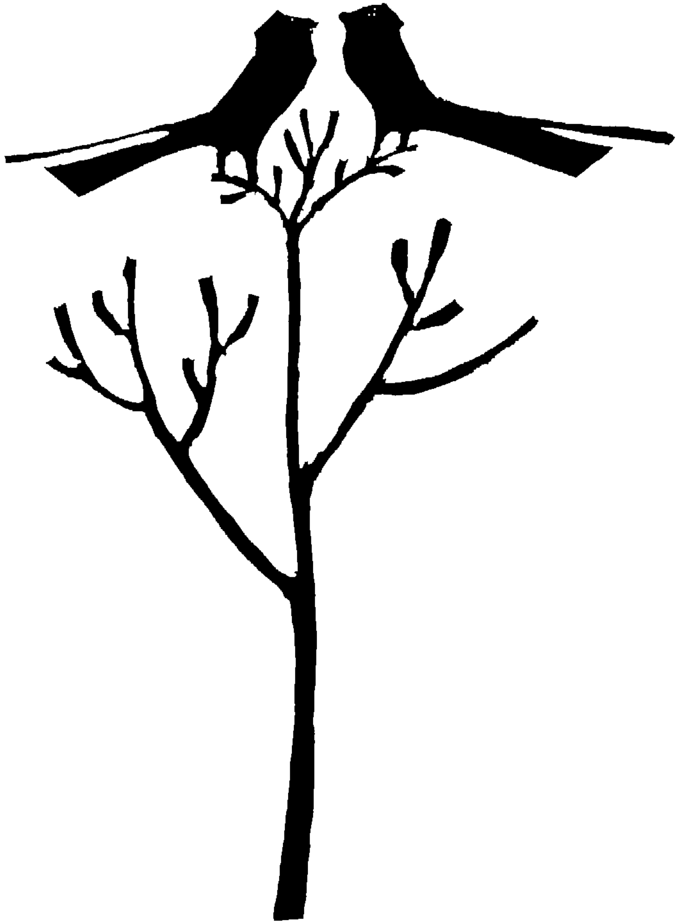
أن يصعد فوق القافية الممدودة

. . . .

من منا يا أحبابُ . . يلبي دعواه . !

التمثال

فى الساحة تمثالٌ للسلطان الكامل
يرجع تاريخُ صناعته للقرن المجهولْ . .
وبه طاف الآباءُ . . النسوةُ . . والأطفال
صاحوا بالتكبير . . وبالتهليلْ . .
وتلى أكبرهُم صلواتِ الشكر
يؤرجحُ فى يده قنديلْ . .
ـ ذات مساءٍ صيْفيّ
سئم التمثال بلادتَه الفولاذيَّة
خلع عباءَته . . وسعى بين الناسِ
يبشّرهم بالخير المأمولْ . .



ـ أمسكه العسسُ الليلى

متَّهمًا بالعُرْيِ الفاضح . .

وبغيرِ محاكمةٍ عادلة . .

ساقوا السلطانَ الكاملَ

مصفودًا فى موضع تمثاله

وغدا السلطانَ المقتول !

الهـــدهـد

لامَ سليمانُ الهدهدَ
حين استبطأه فى رحلتِه الأولي
أنزلَه عن عرشِ حجابَتِه
واستحضر عفريتَ الجن
ـ كان العالم مخضوبًا بالحناءِ
وكان اليمُ كتابًا منشورًا
والصحراءُ رؤى . . لا تهدأ . .
ـ لكنَّ الهدهدَ كان يرى دنياه
شرنقةً باردةً
لم يُفلحْ لما نقَّرَها

أن يفتح نافذةً يقطُرُ منها دمعُ التوبة

. . . .

ـ كسرت بلقيس حصارَ الهدهد

حين اتخذته حاجبَها الأوحد

فعفا عنه سليمان

من أجل عيون مليكته الحسناء . !

الجديد !

يزهو عنترةُ بسيفه
تزهو هندُ بكبِدِ الفارس
تبكى عائشةُ حديثَ الإفك
وأنا . .
أبحث عن نبأٍ . .
أُلبِسُهُ ثوبَ الدهشة
وأعلِّقُهُ فوق الأشرعةِ إلى أقصى العالم
تأتينى حَصَيَاتٌ من أنباءٍ خامدةٍ
مقتولة . .
ألقَفُها . . تلمسُ كفيّ . . تذوب .

ويبقى عنترةٌ
وهندُ
وعائشةُ
ويبقى لَهَفى أن أُفرغَ فى جوفى
قنينةَ حلمٍ آخر . !

أســاطــير

انصهرت صخرةُ ليْلي
فاشتد القلبُ . . امتدْ
غدا نسمةَ لحنٍ طازَجةً . . وهدايا وردْ
احتدّ على من يرسُمُ فى خُطوته الحدْ . .
شدَّ إلى العشاق المهمومين
حبالَ الوُدْ . .
طار على شجر الصَّفصافِ جوادًا
يطوى زمن الصمتِ
وزمنَ الفقدْ . .
حطَّ على مئذنةِ العشقِ النابتةِ

حمامًا

وحكايا

وشموسًا دافئة الوجدْ

. . . .

ـ أتسللُ أحملُ فأسى الآن

أحرِّر أعناقَ العشاق

وأكسرُ أغنى قيدْ . .

أحشرُهم تحت لوائي

ولوائى . . زهرُ الصبّار

وسعفُ النخل

وأعوادُ بَخُورٍ
ودفاترُ موسيقي
وغزالاتٌ شاردةٌ
وسفائنُ مذْ . .
ـ عشقى يأسرنى الآن
فألقانى مجنونًا فى غابات النغمِ العُلوي
مزاميرى . . أمنحهُا الطيرَ الغجري
وأغشى السِّدْرةَ تغشانى
يغمرنى عسلُ العينينِ الظامئتين
فأخطو . . أغرقُ . .

أعبدُ هذا الألقَ القدسيّ

وارتدْ . .

لستُ مسيلمةَ

ولستُ الفارسَ دون سلاح

لست الضاربَ بالسِّيف طواحينَ الوهم

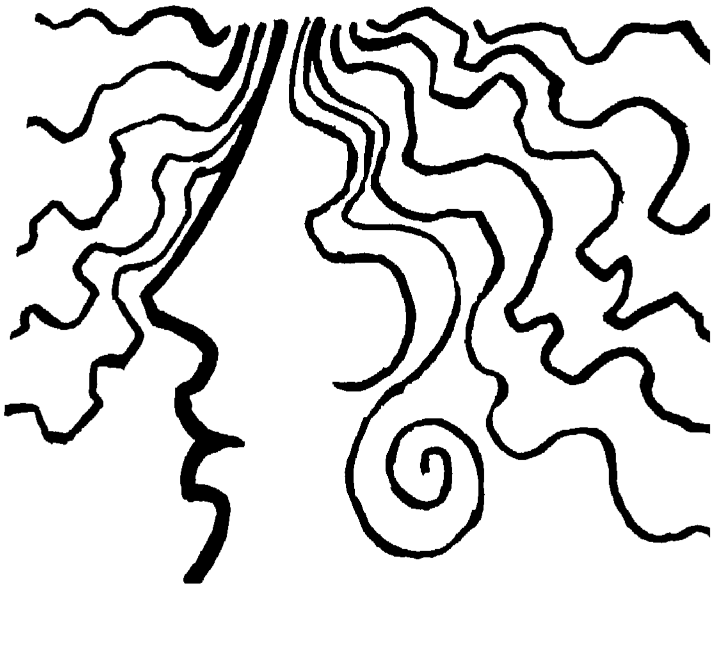
بلا قصدْ . .

لكنى أخترقُ الآن طقوسَ العتمة

أُطلق حجرًا أزرقَ يحمينى من حَسَد العينين

وأدق بتابوت الصمت . .

مساميرَ العُرس الآتي



وأعلّق زيناتٍ من شُريان القلب
فتأتينى واحدتى فوق المركبةِ الملكية
ألقَفُها بيديّ
أحملُها فوق الصدر
أحاورُها . . وأعانقُها . . .

. . . .

ـ لو تأخذنا سِنةٌ من نوم
نصدأُ . .
لو يخمدُ فى داخلنا الشوقُ المتوهج
نصدأُ . .
لو كفّت أحرفُنا لحظاتٍ

نصدأ

نختصر العالمَ بين يدينا

نحيا عمقَ اللحظةِ عشقًا . . وفناءً

وجراحًا راعشةً

نكتبُ أسطورةَ عشقٍ

لم تُكتب بعد !

صرخة

يدركُ البحرُ
كيف يثورُ على الراية القاتمة
تدرك الطيرُ
كيف تنقِّر صمتَ الصخور
وتلتقطُ الحَبَّ . . والرحلةَ القادمة
تدركُ الشهْبُ موعدَها فى الهبوط
وموعدَها فى الصعود
وتدرك كيف تقطِّر للعاشقين
حكاياتها الهائمة . !
ـ أيها القلب . .

يا من تحطم كلّ مساءٍ قيودَك
كن جمرةً تشْحذُ الحلم
تعرف كيف تسُلُّ المواعيدَ من قبضةِ الصمت
إنى أريدُكَ كالبحر . .
كالطيرِ
كالشهب الراجمة
أريدك
تكتب للعشقِ ملحمةً دائمة . !

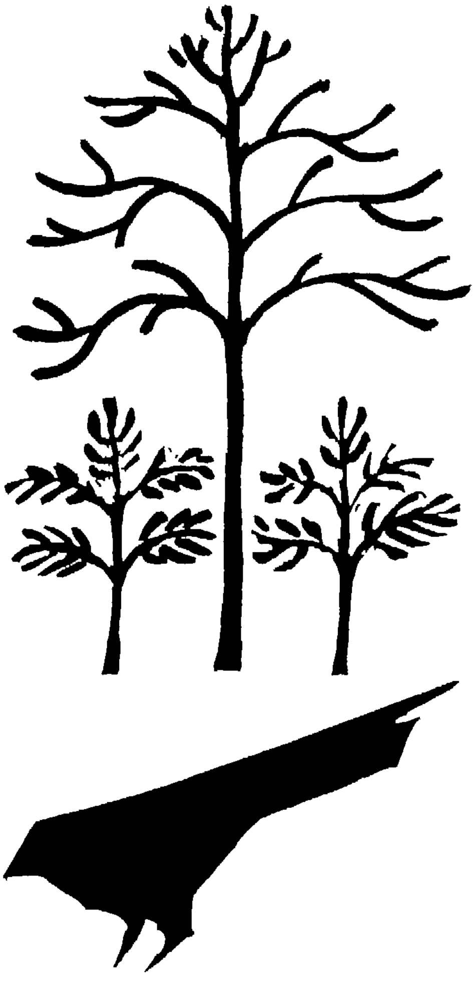
خُــدعــة

يخرجُ « عمرو »
يطالبُ بالثأر . .
يملأ جَعبته بالجمرْ
وتراوده أحلامُ السُكرْ
ـ حين أوتْهُ الزباءُ بعينيْها
رشَّت ضحكتَها دفئًا . . و
ـ أدرك عمرو جريرتَه
طاف بعينيها . . يطلبُ ص
لكنّ « الزباء » . .
كانت سنبلةً شاردةً تصعدُ

فى عُرْيِ الصحراء
تُخمدُ صيحاتِ الثأرِ العربى . !

اعتراف

ما بين فمي والكفين
مسافاتُ طعامٍ . .
وسلامٍ . .
وحوارْ . .
ما بين القطبين . . نفورٌ
ولهيبٌ
وحصارْ
تلتفّ على عُنقى أفعي
لا أدرى من غذّاها
أو أطلقَها



تصعقنى بالسُّم وبالنارْ . .
لكنْ . . ما أدركه الآن
أن الوجهَ العربيَ استلقى فوق الطين
فاسودَّ
وارتد . .
وافتقد ملامحه فى وجع الإعصارْ
وانغرستْ فى قلبِ القَلب
أسئلةٌ لا تهدأ . .
يجرفها لهب التيارْ . !

البديل

زمنٌ مستحيلْ
ولونُ الحروف . . عليلٌ
عليلْ
وقُبّرةُ الحُلمِ فى عشِّها المستكين
فهل يُعلنُ الشعرُ هجرتَه الأبديةَ
أم يكتفى بالقليلْ . .
وهل ينهضُ القلب من كبوةِ الصمتِ
أم يكتوى بالذبولْ
- زمنى . . مستحيلْ
وكل الذى يُلهمُ الشعر . . يا صاحبى . .

منهكٌ . . وكليلْ

والرياحُ تجيءُ بغير الذى نشتهي

والبديلُ . . ثقيلٌ

ثقيلْ

زمنٌ مستحيل . .

فأيُ القصائد ـ يا صاحبى ـ الآن

لا تستحيلْ . !

قراءة

فى وصايا الشعراء

حسبُك . .
لا تكتب شيئًا هذى الليلة
ترتعشُ الآن الأسئلةُ
فتصهلُ أحصنةٌ
وتفرّ غزالاتٌ
تهوى مئذنةٌ
تصرخُ شرنقةٌ تعلنُ موتَ الأشجار . .
ـ كان الفرسانُ العشاقُ يطوفون علينا
كلَّ مساء . .

كانوا يشتعلون قصائدَ

يحترقون . . مواجدَ

يقتسمُون مواسمَنا الخضراء

ـ كانوا يُلقون إلينا السَّمعَ . . وكنا . .

يحتملون إلينا القهرَ . . وكنا . .

يخشوْن علينا الشعرَ . . وكنا . .

ـ يومًا . . داهم أسوارَ مدينِتنا السفهاء . .

فر العشاقُ الفرسانُ . . وغابوا . !

ساعتها صحتُ . . فما استمعتْ أذُنان

غنَّيتُ . . فلم تصِغ الجدران

كان الشعرُ بحلْقى جمرا

ووصايا الشعراء . . دخان . .

ـ صاح الصوت الغائب :

احملْ عنى هذى الأوجاعَ . . ولا تهرُبْ

جرِّب . .

فالشعر طويلٌ سُلَّمه . .

لا تتهيب . .

لا تستسلم . . وتأهبْ . !

. . . . . .

ـ الليلةَ . . لن أكتبَ عن أحلامِ الشعراء

تلك وصاياهم تسّاقطُ فوق النّطْعِ . .

رفاتا

لا تُبقى فينا غير الدمْع المخنوق بحبْلِ الصمت

لا تُبقى . . إلا ظلّ الموت . !

الرؤيا

صاح : يا ولدي
(لا تقصُص رؤياك على إخوتكْ
فيكيدوا لك !)
قلت : تحرّقنى نار الرؤيا
تطلق نَسْرًا لا يملكُ أجنحةً
شجرًا لا يطرح ثمرًا
شلالات مياهٍ مالحةٍ تخطئُ مجراها
. . . .
ويواعدُنى شيخى فى خَلوته
ـ لو أصمتُ عن بوْحى ـ

وأظل أُسامِرُ ليلِي بقصائدَ طازجةٍ
تحمل للعشق تقاسيمَ
وللوجد . . ترانيمَ . .
ويرقُبنى الإخوةُ من خلفِ ستائرِ شباكي
أقسم إنى أحلُم فى جُب الظلمة
. . . .
لكنَّ الإخوة ـ كل صباح ـ يوشُون :
أن فراشى فى الليل . .
كان الملكوت الفِضيّ
وكان السرّمدَ . .



والمسجدَ . .

والمعبدْ . !

. . . .

ـ أفتونى يا عشاقَ الرؤيا فى رؤياي

فى طرْف لسانى . . بوحٌ . . وظنون

وعلى جيدى . . سيفٌ مسنون . .

وأنا . .

أخشى أن تخطئَنى الرؤيا

فيفارقَنى هذا الوجدُ المجنون !

الـوجــع

ـ ماذا بعد . ؟

وأنا أشهدُ كلَّ الأوجهِ تتلوّن

والعجزَ على الأفواه يُدمدم

ودماءَ السهرِةِ فوق الأثوابْ . .

ـ ماذا بعد . ؟

هل آن لقلبى أن يرتابْ

ويكذبَ ما كان . . وما غابْ . .

ويصِّدقَ أن سلامَ القلب

أصبح مسفوحًا بالأنيابْ . .

ـ ماذا بعد . ؟

وأنا أتلفَّتُ خلفى ليل نهارْ
وأشدّ الجلدَ على شُريان العارْ
أوصد أبوابى . . وشبابيكي
لا أسمح للنورِ . .
ولا أسمعُ للجارْ
أتأبط سكّينِى فى صحْوى . .
فى نومى . .
أشقى فى دائرةِ حصارْ . .
ـ ماذا بعد . ؟
هل حلّتْ لعنةُ فرعونَ الأولي
أم حلَّ الهمْ . .

هل تنتظرُ الأقلامُ القصفَ

وتنتظر الأوراق العصفَ . .

ونرضى فى دنيانا زمَّ الفمْ . .

. . . .

ـ تعالوْا يا شهداءَ الكلمة

ـ أحياءً . . أمواتاً ـ

هذا زمنُ الوجعِ الدامي

يُعلن محنَتَهُ الآن . .

فاختاروا . . . .

اختاروا أن تحيَوْا زمناً آخر . .

أو . . فانكسرُوا عجْزًا فوقَ الأعناق !

يقول العراف

- لم يلج البعيرُ فى سَمِّ الخياطِ بعد
ولم يشِبْ فى بطنِ أمه جنين
حتى تقومَ فى الأرضِ - هنا - قيامةٌ
يحمرُّ وجهُ البحرِ فى الصحراء
يراقُ ماءُ القلبِ فى العراء
تُمطرُ السّماء خيلَ الموتِ فوق الأرض . .
- لم تطلُع الشمسُ من الغروبِ بعد
حتى أرى الوردةَ والسكين . .
يقتتلان فوق كل مائدة . .
وأرى العصفورَ من برودةِ الظلام
لم يعد يجئُ للرفاقِ فى الصباح
ينقُرُ النوافذَ الزجاجية . .

ـ هل تُقبل العواصفُ الشتائية
في غير موعد المطرْ
وهل يجف النهرُ حين يحملُ الغمامُ لونَه العِكرْ
. . . .
ـ حين وقفتُ خارجًا عن صمتيَ العتيق
أسأل قنديلي الذي يدلُّني على الطريق
قامت من الرقود جثثُ الفُرسانِ من قديم
تشقّني نصفين . .
تقذفني بالجمر . .
وتطعم الصبارَ من رفاتها . .
فتستعيدُ الشوكَ والوخز . . وتمتطي الجراحْ
ـ ضاعت هنا ملامحُ الصباحْ
وألفُ موعد مع الورودِ . .

وخضرةُ الضفاف . .

ـ قلتُ لنفسى : ربما الوطنْ

هب من القبور ينزِع الكفنْ

أو ربما أبناؤه قد خلعُوا عباءةَ الصمتِ

وأسقطوا الوثنْ

فأقسمُوا أن يرسُموا ملامحَ الأرضِ

ـ كما يقضى كتاب الله ـ

ويعيدوا الوجه من غلالةِ الدِّمنَ

ـ قلتُ لنفسى : ربما القلبُ استجار بالقلب وربما البدنْ

سدَّ به الشهيدُ فجوةً تقطرُ العفن . .

ـ قلت لنفسى :

(وحديث النفسِ للنفسِ يُردُّ للنفسِ

كأنها يقظةُ حُلم

أو نبوءةٌ معتمةٌ . . في ليلةٍ مطوية)

. . . .

- لاحقني العراف (كأنه يقرأ نفسي من خلال نفسي)
اقتادني إلى سكون غابةٍ موحشةٍ . . وقال :
- قيامةُ الأرض هنا قيامةُ المُحال
لم يلج البعيرُ في سَمِّ الخياط بعد . .
كي يحدث الزلزال . .
- ساءلتُه : ماذا لديك يطفئُ الظمأ
أشار للمدى :
- لا تنتظرْ نبوءَتي
فهذه المرةَ وحدَها . . أُخطئُ في النجوم والحساب
ويخطئُ الرملُ معي . . ويخطئُ الورق . .
فلم تعد عيونكُم تُفصحُ عن شيء جديد

حتى جراحكم . . تغبّرت ألوانُها
ولم تعد دماؤها
تبشّر الغدَ القريبَ بالوليد !

بكائية

[إلى سراييفو]

ـ أحدٌ . . أحدْ
ما من أحدْ . .
فى الصُور ينفخُ . . أو يعيدُ الوجهَ
من لون الكمدْ . .
ما من أحد
آلى على جفْنِ الدماءِ
وجاء يُنجزُ ما وعدْ . .
والعينُ تشهدُ . . والقلوبُ
وأنةُ الأطفال . . والراياتُ
والصلواتُ تُذبحُ فوق رملٍ يتقدْ . .
ومآذنٌ كسَرت أذانَ الفجرِ

فانعصرتْ شُموسٌ
قطّرت آلامَها فوق الزَّبْد . .
ـ الحلمُ كان . . ولم يُعدْ
ـ والصمتُ يُخرِسُ قادةَ الدنيا
ولو صاحت بقلبِ الليل عاهرةٌ
لهبوا . . .
ـ إنه صوتُ الجسدْ ! ـ
ـ أحدٌ . . أحدْ
ما من أحد
لبّاك . . يا صوتًا يُبحُّ على حناجرَ لا تُعَدْ
ـ ما من أحدْ . .
يبقيك فوق مآذن الإيمان
غصنًا ينعقدْ . .
ـ فرسانُ هذا العصر . . مأجورون

يومًا لليسار . .
ويوم يغريهم يمينٌ . . يُهرعون
فما الذى يبقى لتعرفَ من عدوُكَ من صديقكَ
من ترَى فيه السَّندْ !
ـ أطفالُ هذا العصر مسفُوحون
لا يدرون من آباؤهم
أوطانُهم
يا ضيعةَ الدفءِ المجنّحِ . . والولدْ . .
ـ كتّاب هذا العصر منهوبون
هم يطلقون بَخُورهم فى كل زاويةٍ
وضائقةٍ
ويشيّدون بروجَهم فوق
الجماجمِ . . والحمائم . .

يُشعلون حرائق الدنيا ويجنُون المددْ
ـ حكامُ هذا العصرِ . . مقهورون
فوق المسرحِ المرسومِ
أدوارٌ . . وأرقامٌ
عُقابٌ . . أو حمارٌ . . أو أسدْ
ـ أحدٌ . . أحدْ
ويلاه . . حتى ما نَخالُ من الصَّديَ
لفّته ريحُ الليلِ فى كفنٍ
وألقته ذليلاً . . للأبدْ . .
ـ اليوم نبكيه معًا
أم أننا نبكى انطفاءَ النورِ فى دمنا
ولونَ عيوننا المقهورَ
والقسمَ القديمَ وقد جَمَدْ

ـ أحدٌ . . أحدْ
ما من أحدْ
يصحو من السّكر الذى أدمى القلوبَ
فأصبحت فينا البدد
ما من أحدْ
ما من أحدْ !

الأسـئلة

(نحن . . وهم)

ـ أنسقطُ أم يسقطونْ
أنُقتلُ . . أم يُقتلونْ
أصيدٌ ثمينٌ غَنِمناه . .
أم أنهم صائدونْ . .
ـ تُرى . . كيف تحضُن عيناى كلّ الحدائقِ
حين اختفى الياسَمينْ
وكيف تظلُّ السماءُ خَلاءً من النجمِ
ثم نغنّى لها حالمينْ . .
وكيف تموتُ المواسمُ حين يجئُ الحصادُ
ونلعنُ وجه السنينْ . .
ـ أوجهٌ كئيبٌ نطاردُه . . أم جنونْ

ونجلسُ حول الموائد . .
والحلمُ منكسرٌ فى العيونْ . .
فطورًا نبدّل لون الحوار
ونلبَسُ ثوبَ الوقار
ونعلنُ أن السلامةَ أمرٌ يسيرٌ
وأنّا لها مالكونْ . .
وَطَورًا . . يضيقُ علينا الحصار
فنذكر أيامَنَا بانتصار
ونفخرُ أنا الملوكُ . . وأنا البطولةُ
أنا هنا الفاتحونْ . .
. . . .
ـ أنقدرُ . . أم أنهم قادرونْ
ـ أنملك مثلهمو أن نكفَّ اللَّجاجَ

وثرثرةَ الليل حول الذى كان . . أو ما يكونْ
ـ أنملك مثلهمو أن نُحيلَ الحروفَ رَصَاصا
وأثوابَنا الفاتناتِ . . دروعا
وأحلامنا الساطعاتِ . . بروقا
ـ أنملك مثلهمو أن نقطّر فى الكأسِ صفوا
وندركَ أن قليلاً من السُّم
لا يُصلحُ اليوم فينا البطونْ . .
ـ أنقدر أن نتناسى الحكايا القديمةَ
نمحوَ ما حدَّثت شهرزاد
وننسى سليمانَ والجن . .
ننسى طيورَ الخرافة
ننسى الأفاعى . . وما كان من سندباد . .
ـ أنقدر أن نتخلصَ من حِكَمِ الصالحينْ

ومن صلواتِ الأنينْ . .
ونعرفَ أن الذى شاء أن يعبدَ اللهَ
لا يعبدُ اللهَ كالعاجزينْ . .
ـ هل يرى الحكماءُ . . وهل يدركونْ
ـ أهو الجوعُ قبلتُنا . . أم هوى الحاكمينْ
أهو الوطنُ المستباحُ
تموتُ العصافيرِ فيه . . . نغنى !
وتجرى بأنهاره كلَّ يومٍ دماءٌ . . . نغنى !
وتُشنقُ فيه الحلوقُ . . . نغنى !
ـ أنسقطُ أم يسقطونْ
أنقدر أم يقدرون
وهل سمِعَ الشعراءُ . . وهل يدركون
ـ قدرٌ أن نعيش . .
قدرٌ أن نهون . !

الذهول

ـ آه لو تدركُ الخيلُ
أن الصهيلَ احتجاجٌ
وأن احتجاج الخيول مصاهرةٌ لاشتهاء الرحيل
ـ آه لو تتأنى الكلاب
لتدرك أن النُباح يعيدُ النبوءةَ
من ليلها المستحيل
ـ آه لو تدرك الشمس
أن بلاديَ مظلمةٌ
والطواويسَ مقبلةٌ
والخرائط مجهضةٌ
والبيوتَ طلول . .
صوتُ من يضحك الآن

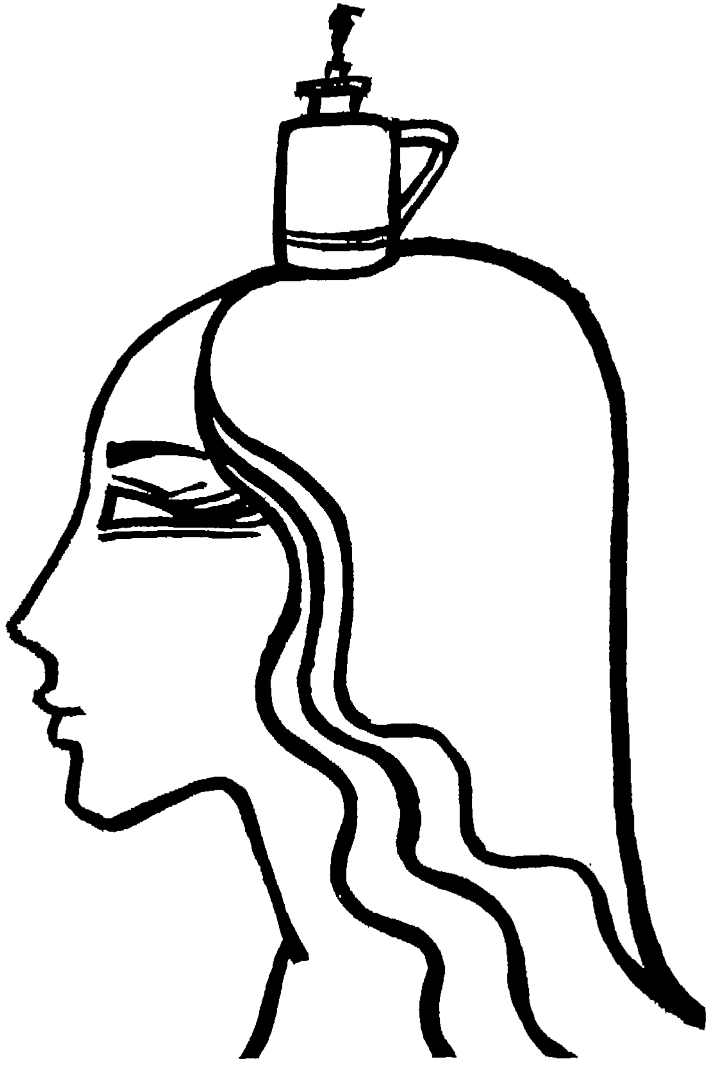
صوتُ من يحتويه البكاء
وكلانا سواء
سقطت كلُ أسناننا
وشحذنا السيوف لنغمدَها فى قناديلنا
ونصمٌ عن الحب آذانَنا ثم نبكى جهالتَنا
نكتفى بالذهول . .
ـ أينا قاتلٌ . . أو قتيل
أينا شائهٌ . . أو جميل
أينا شامخٌ . . أو ذليل
الدماء جهلنا منابعها وامتدادَ النسب
ليتنا ندركُ الحلم . .
أو نقترب . .
ليتنا كالخيول . .
ليتنا نركبُ المستحيل !

استراحة

هو المحاربُ استراح فوق رمحه
يلتقطُ الجراح . . والرياحَا . .
مازال يلبَسُ الخوذةَ والسِّلاحَا
ويشعلُ القلبُ عنادًا
يعصِرُ النجوم فى يديه . .
يكسِرُ النصْلَ على النصلِ
ويثخنُ الجراحَا . .
. . . .
مازال جمرُ الشعر داخلي
وخمرةُ الكئوس تقطرُ الندى المباحَا
مازلتُ أشعلُ المطرْ . .

أحيلُ بحرَ العشق أدمُعًا . . ونارا
أمنحه العرائس المِلاحَا . .
ـ لكنما البحرُ استحال جزْرا
تمردت أمواجُه . . وسافرت جِمَاحَا
حتى الرمالُ فوق شطه القريب
ظلّت على عشاقها . . شِحاحَا . .
فكيف بعدُ أطلقُ الجناحَا
يأسرُ ما غاب . .
وما استراح خلفَ غابةِ الليلِ
يحطم الأقداحا . .
. . . .
الآن . . أستريحُ برهةً
ألتقطُ الجراحَ . . والرياحَا

لكى يظل داخلى الوهج . .
يشعلُ فى أوراقيَ الصباحَا
يفجّرُ الصمتَ القديم
يشحذُ النصلَ بقبضتي
ويطلقُ الرماحَا . !



قصائد الديوان

للشاعر

أ ـ الشعر :

* الطريق والقلب الحائر	دار الكاتب العربى	١٩٦٧
* الهجرة من الجهات الأربع	مؤسسة التأليف والنشر	١٩٧٠
* البحث عن الدائرة المجهولة	دار الناشر العربى	١٩٧٣
* الليل وذاكرة الأوراق	مكتبة مدبولى	١٩٧٧
* الخروج إلى النهر	هيئة الكتاب	١٩٨٠
* السفر والأوسمة	دار الشروق	١٩٨٥
* العطش الأكبر	مكتبة مدبولى	١٩٨٦
* الشوق فى مدائن العشق	هيئة الكتاب	١٩٨٧
* قراءة فى كتاب الليل . .	دار الشروق	١٩٨٩
* الأعمال الشعرية (١٩٦٧ ـ ١٩٨٧)	هيئة الكتاب	١٩٩٢

ب ـ المسرح الشعرى :

* أخناتون	دار المعارف	١٩٨٢
* شهريار	هيئة الكتاب	١٩٨٣
* عنترة	هيئة الكتاب	تحت الطبع

جـ ـ دراسات

* شعرنا القديم رؤية عصرية	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٨١
* المرأة فى شعر البياتى	هيئة الكتاب	١٩٨٤
* أطفالنا فى عيون الشعراء	دار المعارف	١٩٨٥
* محمد الهراوى شاعر الأطفال	المركز القومى لثقافة الطفل	١٩٨٦
* التربية الثقافية للطفل العربى	مركز الكتاب للنشر	١٩٩١
* مسلمون هزموا العجز	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩١

د ـ للأطفال :

* حكايات من ألف ليلة وليلة (٥ حكايات)	دار الشروق	١٩٨٠
* عشر مسرحيات شعرية	مؤسسة الخليج العربى	١٩٨٧
* حكمة الأجداد	مؤسسة الخليج العربى	١٩٨٩
* مسرحيات شعرية من كليلة ودمنة (١٠)	أخبار اليوم	تحت الطبع
* جائزة الحمار وقصص أخرى	دار الهلال	١٩٩٢

رقم الإيداع : ١٠٠٨١ / ١٩٩٢
I. S. B. N. 977 - 09 - 0114 - 8

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣